نجاة أحمد بوتقبوت

تجليات أنثى

مجموعة قصصية

تقديم
أ. د. محمد زكي العشماوي

مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨

تجليات أنثى

(مجموعة قصصية)

نجاة بوتقبوت

Editions
Al-Adab
1923
42 Opera square - Cairo - Egypt

الناشر
مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨
البريد الإلكتروني e.mail: adabook@hotmail.com



الناشر

مكتبة الآداب

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

بوتقبوت، نجاة.

تجليات أنثى: (مجموعة قصصية)

تاليف نجاة بوتقبوت، تقديم محمد زكي العشماوي.

ط١. - القاهرة: مكتبة الآداب ، ٢٠٠٩.

٨٠ ص ؛ ٢٠ سم.

تدمك ٢ ١٢٦ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - القصص العربية القصيرة

أ - العشماوي ، محمد زكي (مقدم).

ب - العنوان

٨١٣,٠١

عنوان الكتاب: تجليات أنثى (مجموعة قصصية)

تاليف: نجاة بوتقبوت

رقم الإيداع: ١٩٨٦٩ لسنة ٢٠٠٩م

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 978 - 977 – 468 - 126 – 2

مكتبة الآداب

(علي حسن)

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة

هاتف ٢٣٩٠٠٨٦٨ (٢٠٢) —

e-mail: adabook@hotmail. com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

عندما تلقيتُ هذهِ المجموعةَ القصصيةَ مِنْ كَاتِبَتِـــها الأديبةِ "تَجاةِ بُوتَقْبُـوت" أخذتُ أُطَالِعُها، فإذا هي تحملُ إِلي ّ نفحــةً منعشةً من الأدبِ الحَيِّ الذي يتحسسُ أبعادَ الكلــمةِ وألوانَهــا وأنغامَهــا ، ووجدتُها تنبضُ بأجْواء جماليةٍ وإنسانيةٍ وروحية.

وبعدَ الاطلاعِ الأولِ السريعِ أردتُ أنْ أتأكدَ أنني لم أنْخَدِعْ، ولمْ أُوْخَذْ على حينِ غــرةٍ، وعنْ غيرِ حقٍ، فأعــدتْ القراءةَ، وبدأتُ التمحيصَ لأرى كيفَ تضافرتْ الصورُ والألفاظُ والتجربةُ، ذلك لأنني أفترضُ دائمًا أنَّ الشَّكْلَ الفنيَّ قائمٌ على هيكلٍ محجوبٍ له أسلوبُه، وكوامِنُه، التي تنطلقُ منها ديناميةُ الشكل ...

وليس من شكٍ أنَّ في كلِ عملٍ فنيٍّ ناجحٍ أسرارًا، وهــذا هو الذي يجعلُ منه مجالاً مفتوحًا دائمًا لكشفٍ واستغوارٍ جديدين في الصلات، والوشائــجِ والتصاميــمَ الخفيَّةِ؛ المنبثةِ في أجزاءِ العمل الفني، وإبرازها للعينِ؛ لكي تنطلقَ المعاني الأوسعُ والأعمقُ الحبيسةُ فيه.

وعندي أنَّ من يقرُأ هذه المجموعةَ يجدُ نفسَهُ – في الحقيقةِ– أمامَ مجموعةِ إطلالاتٍ تتفاوتُ عمقًا واتساعًا ومدىً، فتبدو آخرَ الأمرِ و كأنَّها لوحاتٌ تزخرُ في مجموعها بالحــياةِ والــحركةِ، و بأسلوبٍ لا يتعثرُ في طريقهِ إلى الهدف.

على أنَّ الأهمَ منْ ذلكَ أنَّ الكاتبةَ قدْ استطاعتْ أنْ تكشفَ عنْ خفايا قلبِها وفــكرِهــا بريشةٍ دقيقةٍ رشيقةٍ مرهفةِ الذوق والشعور، تعرفُ أينَ تمشي،

وأينَ تقف، و كيف تبتــدئ وكيف تنتهي.. لا إسرافَ و لا تعقيدَ ، ولا إسفاف .

لقــدْ اتخذتِ الكاتبةُ لنفسها زيًّا من الأزياءِ الأدبيةِ هــو القصةَ القصيرةَ كما نعرفهــا اليوم ، فإذا كلِّ قصةٍ صورةٌ كاملةُ التقاطيعِ، منسجمةُ الألوانِ، تطفو عليها الفكــرةُ أو اللمحةُ الإنسانيةُ، أو الرؤيةُ أو العاطفةُ التي دعتْ إلى تكوينهِ، فلا تلجُأ إلى التصريحِ حيثُ يُغــني التلميحُ، ولا تتصارعُ النزعاتُ؛ بل تنساقُ العباراتُ سَوْقــاً حثيثًا إلى محورِ القصةِ، أو نقطــةِ التجمعِ التي تتوزعُ منها أشعتُها وألوانُها، فإذا العباراتُ والصورُ كأنَّها برقٌ متكررٌ يَصْدُرُ مِن مَعينٍ صافٍ، ذلك المَعينُ هو النفسُ الحساسةُ الحييَّةُ الصادقة.

وتلك هي صعوبةُ القصةِ القصيرةِ، فالأمرُ الذي قدْ لا يدركُهُ الكثيرون أنَّ كتابــةَ القصةِ القصيرةِ

ليستْ بالسهولةِ التي قد يتخيلُها البعضُ، فهم يتصورون أنَّ الحدثَ والشخصيةَ في القصةِ القصيرةِ يمكن إبداعُها في عددٍ محدودٍ من الصفحاتِ، وهو بالطبعِ تَصَوُّرٌ خاطئٌ، فالسهولةُ هنا ذاتيةٌ، أي أنها في موقفِ الكاتبِ من قضيةٍ فنيةٍ شديدةِ الرهافة، لو أنَّ كلَّ كاتبٍ يأخذُ القصةَ القصيرةَ كما كان يأخذُها "موباسان" و"تشيخوف" و"همنجواي"، لعرفنا كيف يجابِهُ كاتبُ القصةِ القصيرةِ مهمةً صعبةً، تحتاجُ إلى فنانٍ مُلْهَمٍ؛ حتى يستطيعَ أنْ يجعلَ من هذا الحيِّزِ الضيق وهَجًا، وهو أمر يتطلبُ بطبيعةِ الحالِ حِذْقًا خاصًّا؛ حتى يتمكنَ من أنْ يجعلَ من قصتِهِ القصيرةِ وسيلةً لتصويرِ جوانبَ من النفسِ البشريةِ والوضعِ الإنساني، وهذا يحتمُ على الكاتبِ الولوجَ إلى مناطق

الظلامِ كما إلى مناطق الضوءِ؛ مجسِّدًا رؤاه، ومستعينًا بوسائلَ إيحائيةٍ متعددةٍ.

هذه هي بحق أوجُه الفكرةِ الجوهريةِ التي تجاهدُ القصةُ القصيرةُ لبلوغها، والتي تملأُ ما يشبه البئرَ في داخلِ كاتبِها، الذي يسعى جاهدًا لأنْ يدلوَ إليها بدلوهِ؛ ليستخرجَ شيئًا منها يروي هذا العطشَ الهائلَ في النفسِ والذهن.

وما عمليةُ الكتابةِ بأنواعِها سوى إدلاءِ الدّلوِ كلَّ مرةٍ في البئرِ لاستخراجِ شيءٍ من أعماقِها، له القدرةُ على تحريكِ قوى الخِصْبِ في الإنسانِ؛ كفردٍ أو كأمة.

وإذا عُدْنا إلى أهم السماتِ الفنيةِ في هذه المجموعةِ التي بين أيدينا لرأيناها تبرُزُ بشكلٍ خاصٍّ في قدرةِ الكاتبةِ على تناولِ اللغةِ؛ فقد استطاعتْ بحقٍ أنْ تجعلَ من لغتِها بكلِ أبعادِها

مادةً رخصةً حيةً، طوّعتها للتعبيرِ عنْ خَلَجَاتِ النفسِ مستخدمةً عناصرَ إيحائيةٍ لتحقيقِ الأسلوبِ الذي تدركُ به هدفَها. وإذا بهذهِ اللغةِ تبُثُّ شعورَها بالحياةِ بثًا أشْبَه ما يكون بِرَذَاذِ المطرِ، يتساقطُ في سكينةِ الليلِ على البقاعِ العَطْشَى فيُحيِيها ويُؤْنِسُها.

وبعد،

فقد وجدتُ في قراءةِ هذهِ المجموعةِ الكثيرَ من المتعةِ، وأرجو أنْ تكونَ هذه الباكورةُ من قلمكِ الحساسِ نقطةَ انطلاقٍ إلى الأرحبِ والأمْتَعِ، متمنيًا لكِ الخيرَ الكبيرَ، ولقلمكِ الخصبِ الوفير.

الدكتور محمد زكي العشماوي

ديسمبر 2004

الإسكندرية

لأني أنثـــــى

مذْ أخبرتني أمي أنِّي أنثى أيقنتُ من نظرتِها أنِّي لم أُخْلَقْ عبثًا في هذا الوجود، علمتُ أنَّ لي ندًّا وضِدًّا، وأن لي صديقًا وعدوًّا، قررتُ أنْ أكونَ كما قالتْ أمي أنثى.

لكن أمي أرهبتني، ولم تدَعْني أكملُ فرحةَ إيجادِ فصيلةِ انتمائي، فأتبعتْ تحديدَها لغوًا كثيرًا وإشاراتٍ بلا معنى، أو قد يكونُ لها معنى.

لست أدري !.

أصابني الدورانُ ولم أستوعبْ شيئا، أدركت أن الأمرَ أعقدُ مما فهمته، فقررتُ وأقسمتُ أن لا أكون سوى أنا – أنثى–.

أعطتني أمي وهي واجمةٌ كتاباً وسيفاً فلّه التوارثُ، قالت: هذا في يدك، فكان الكتاب، وهذا خلف ظهرك،

فكان السيف، ثم قالت وهي باسمة: هكذا تكونين بحقٍّ أنثى.

جرّتني من يدي وخرجنا لِتَنْعَتَ لي أرضي الجديدة، أشارت في كل اتجاه، وقالت: هذه أرضكِ، فاحترسي

- واحذري جرأة الغاصبين.

فرحتُ بأرضي، بأملاكي ، ولم أسمع كل ما قالته، كنت أفكرُ كيف سأتصرفُ و قد صار لوجودي معنى، وصار لاسمي بأرضي على الخريطة رسمًا ، وغدا الزمن يحتويني .

رأيت شفتيِ أمي تتحركان وحاجبيها مرفوعان، لكنني كنت عنها منشغلة ، لم أكن أريد سماع غير نداء التملّكِ الذي امتلكتُه ذلك الصباح ، كان أول أيام الربيع ، كان للسماء رونقٌ، كانت صافيةً وزرقاءَ ، وكانت آخرُ نجماتِ الليل ترقبني من بعيد،

تشهدُ أوَّلَ أيام كينونتي ، وكانت الأرض جنـةً أتت زخرفها وازّينت متعةً للناظرين .

راعني ما رأيتُ ، لم أشأْ سؤالَ أمي وهي لاتزالُ على وضعها، تنقل بعض الأحجار وتتمتم، كانت الرؤيةُ أصدقَ، رأيت أرضي بلا حدود، شرقٌ وغربٌ في قبضتي، تنعث لي أمي النهاياتِ ولا أراها، أعرف أنها اختلقتِ الحدودَ لحاجةٍ في نفسها فلم أرفضْ .

برمجتُ في سري لحياتي الجديدة، قررتُ زرعَ فصائل الأمن كالفطر في أرضي؛ لأني وإِن آسرني نداء التملك ابنةٌ لأمي .

أخذت أبرمج لزمن بلا نهاية لكن أمي انتشلتني من شرودي إذ جرتني من ضفيرتي فقالت: ألم تسمعي! لنعد إلى البيت، فخلف هذه الأرض من كل وجهة طامعٌ وعدوٌ، فاحترسي ولا تنسي أبدًا

أنكِ أنثى ، غشيتنا سحابة تهاطلت الأمطار فجأة، في دقيقة غمرتني الأوحال، وابتلت ملابسي. كانت أمي في الشرفة تناديني لأدخل .

لكني تذكرت ما قالته قبلاً فلم أدخل، غمرتني الأوحال فصرت على العتبة شجرة، ولم أنس أن أبسط ظلالي، وأثمر في كل الفصول، أخضرُ ولا أصفرُ، وتفوح نسماتي.

وأنا شجرة ، لم أنس أني أنثى ...

*****

طفولة

بوشاحٍ أسود فوق عيني أتعثر باحثةً عن يحيى وزينب، يتسللان كلما أمسكتُ بأحدهما.

كانت أم حمّاد فوق السطح تنشر الملابس، فانهمرتْ كما الرعد تنهر يحيى وتسميه "حمّو"، وتنعتني أنا وزينب بشيء لم أفهمهُ، وتبيَّن أن زينبَ أيضا لم تفهمْ، قلت كمن يواجه الرعد أصرخ ببراءة أن اسم زميلي يحيى ، وقد أزلت الوشاح ولم نكمل اللعبة ، قالت إنه حمّو لأنه يلعب مع البنات "غُميضة".

وكانت كلمة "حمّو" بخلاف كونها اسمًا تقال لزير نساء، ولم أكن أنا وزينب نساء ولا كان يحيى رجلاً، بل كنا أطفالاً في دائرة البراءة واللعب تجمعنا هوية الطفولة.

جريمة مستعصية

كان رأسي مثقلاً يحتاج للتفريغ، توحَّدت النظرات والأحاسيس، فكان شكلي مخيفا إذ وصلت أفكاري ذروتها .

جلست على المكتب، وضعت ورقة بيضاء بريئة أمامي رأيتها بشزر تنظر إليَّ، وتحاول دون أن أرى عينيها أن تقرأ ملامحي لترى داعنة، منهوكة لا حول لها ولا قوة، أي طلقة ستدمي أركانها، تنتظر وقد استسلمت لقدرها إذ علمت من أخواتها طعناتي التي لا تخيب .

أخذت سيفي! عفوًا، قلمي! امتعضت قليلاً، بدا على ملامحي شكل الجريمة مع سبق إصرار وترصد، تساءلت كيف أبدأ وقد تورطت وأعددت العدة .

بدأتُ الكتابة، تجمَّد الحبر، وتقوَّس الحرف إذ التقى السائل بالجاف، حاولت الاستعانة بالممحاة فعقَّتني وهي ضاحكة، والورقة بين أناملي ترتجف وتقسم أنها كانت مستعدة لموارة جريمتي في صدرها، لأن الطعن يحييها وتسري الحياة في عروقها الجامدة، نطقت الممحاة كقاضٍ أنها محت آلاف الحماقات واكتفت، والحبر يستعيد جامدا كم أسلت من المدافع ويستكفي .

أعدت بخيبة إلى الدرج القلم والممحاة والورقة، أغلقت الدرج وأسترقت السمع فسمعت ضحكاتهم وتعاهدهم على عقوقي ، فصرت حينذاك مسالما لأني افتقدت أدوات الجريمة .

أسير الشـــــوق

حينما تحملين أمشاط أقلامك، تتمدد بيننا صحاري مرعبة.

تدق أجراس الصمت في دهليزك :

حان وقت العبادة !.

أعرف أنك بدأت الرحلة ، ثم أنسحب بسلام .

تتغزلين ، تمدحين ، تصرخين ، تصيرين بحارًا يعمها المد والجزر بِصَخب، تبنين بعيدًا عني عالمكِ الجميل.

أكون معك جرةَ قلم، حبرًا يلوِّن بياض سطور سِفرِك،

أكون قطرةً في خضمك الرهيب ،

ترحلين.. تتوهين.. تتغربين..

وأبقى أسير الشوق في جنانك أنتظر الإياب ...

لأنك كما العادة ،،،

في النهاية إليَّ ترجعيـــــــــــن ...

مسلية لكن قاتلة

قرأتُ في الجريدة عن آخر صيحاتِ دار المكياج في إزالة التجاعيد للأبد ، وقد كثرت الثنيات، و كنت وحيدةً، عمَّرت طويلا حتى واريتُ الكلَّ الثرى، وبقيت كمومياء منسية، تاقت نفسي إلى شريك يعيد إليَّ دفء الحياة، قررت إزالة التجاعيد، وتغيير تاريخ ميلادي و اسمي وأوراقي الرسمية لأبدأ من جديد، ربما ساعفني قدري فأنجب بناتًا وبنين، لم لا؟.

لكــن، وقد تفحصت الطبيبة بشرتي تغامزت مع زميلها عني، وسمعتها تُسِرُّ قولاً تجاعيد ميئوس منها ! . وقرأت انعدام الأمل في عينيهما ، بعدما ضمَّدوا جرحي بعبارات أمل كاذب .

عدت أدراجي بإرادة قوية غير يائسة، أخذت المرآة و تصفحت وجهي ، آثارُ الجمال لا تزال رغم فعل الزمن كالنقوش على أثر دارس محتاج للترميم، أحضرت كل المرهمات والأصباغ فبدأتُ أرمِّم ما أفسده الزمن، التمست جمالاً لم أصدقه وارتديت فستاناً أحمر كاشفاً.

كان قوامي رشيقاً ومتناسقاً، كأن الزمن قرر جعل حدود تدميره على عتبتي فقط، فقررت غلبته.

أخذتُ المرهمات طليت وجهي دون جدوى، لكني لم أيأس فاهتديت إلى حل أخير، شددت التجاعيد بخيط خلف الرقبة وأخفيتها تحت القبعة التي تفننت في اختيارها.

فاجأتني النتيجة، مسحت خمسين سنة من عمري في ساعات بسيطة، خرجت مسرعةً لأنهل من معين العمر الجديد الذي وُهب لي على غفلة.

صرت صبية ولن أجحد النعمة، قادتني الأفكار المتناثرة إلى البدء من المقهى، جلست أنظر في الساعة أنتظر من لا يأتي، طلبت من النادل مشروباً طبيعياً، لن أشرب البن كما تعودتُ حتى لا يفسد بشرتي، ثم اقتنيت الجريدة وكانت اللعبة مسلية...

لا شيء جديد في الجريدة ! وضعتُها جنبًا وامتعضت من موضوعاتها المتكررة، عدت مرة أخرى لأتصفحها فقط ارضاء للغرور الأنثوي، عصير وكرسي على الرصيف كأي فتاة من عصر حفيداتي ثم جريدة في يدي، فأنا مثقفة..

آهٍ ما أجمل المصادفة!!، عروض زواج هي أهم ما في الجريدة، سأكمل اللعبة، تبًّا كلهم أرامل أو مطلقون وكلهم فوق الأربعين..

وجدته، وإن لم يذكر اسمه... شابٌ طلبُه فتاة لا تتجاوز الخامسة والعشرين، جميلة وأنيقة و...و...و...

إنها أنا !!!!.

تأخذ المحمول ، لن تضيع مزيداً من الوقت، تحاول أن تكون رقيقة وهي تحدثه، وبالفعل كانت كذلك.

بسرعة حضر إلى المقهى ومعه باقة ورد، شاب أنيق بهرته إذ رآها، تكلَّما، توافقا وذهبا لعقد القران، لكنها نسيت المدة المحددة لتجديد شد التجاعيد، فوافق مشهد سؤال المأذون بسقوط التجاعيد.

صُعق الجميع ، تساءلوا أي مس أصابها، أفاقوا فحاولوا سؤالها ليتبينوا، لكنها كانت باردة لا تردُّ، قتلتها التجاعيد، وأفناها حب البقاء.

مع النيل

حينما تصخب عيون النيل الصافية تناديني أرض الكنانة للانتماء، وتجف كل الينابيع أمامي، أهرب من أمازيغيتي وعروبتي وأصير بتقاسيم فرعونية، يسقط الجيم والقاف من اسمي ومن قرنفلي، وتُمحَى من ذاكرتي "الأبجدية" و"التفيناغ"* لتصير الأفعى والنسر عناصر مدادي الجديدة.

أنسى إلى حين أم الربيع وأبا رقراق، وأؤجل إلى الأطلس موعدي.

*****

* التفيناغ : حروف اللغة الأمازيغية

على بساط الخزامى

على حافة الجبل كنا معاً نقتعد أحجارًا أشبه بأرواحنا المتكلسة بلا حياة، يشرق الصبح باسمًا لأجسامنا المحنطة . كل شيء حولنا كان جميلاً، النهر يعكس لون السماء في زهو، ويتبادلان معا كما العادة تحيات الصباح و المساء عبر الفصول، السماء في علاها في النهر تحقق ذاتها وترى شموخها وعلاها، و النهر بالسماء يحقق معجزته، إذ في غوره يساكن السماء ، كلاهما عظيمان.

كانت الأشجار خضراء تتراقص متمايلة بسخاء، تداعبها نسمات الصباح، و كانت الفراشات من كل الألوان و الأحجام تحوم في الفضاء، والأطيار تزيد بشدوها الجو حميميةً، والخزامى مِن حولنا تلوِّن الآفاق وتعطي للصمت و التأمل

معـــاني جميلـــة ، كانـــت الطبيعـــة رائعـــة ، وكان وكان .....

وحدنا كنا هناك نفسد هــذا الجمــال، يجمعنــا التنافر، كنت ساهيًا أبدًا ... إذ أسألك تجيب بغــيظ أنـي أفسدت إلهامك تتأمل ولا تخط شــيئًا، أحيانًــا أسمعك تهدي، ولا أقدر أن أســألك؛ لأنـــي أخشـــى أن يصيبني منك مس، فأرحل بدوري عبر الخيال، أركب ولا تراني صهوات الجياد، وأرانـــي أميــرة، يكون بيدك اللجام و أنا لك آمرة، فــأرجع مــرات لأتأكد أنك لا تزال فوق الصخرة بجنبي و أضــحك من فرط فرحتي.

أعود ثانيةً لأكمل انتقامي، فأغير بذلك وجهتـــي ثم أراني وقد زهوت بانتصــاري، أضـــع اللجــام بأمري في فمك و أجعلك فرسًا بجنــاحين، لكنــك عنوةً سهوتَ إذ كنا في السماء، كنــتَ تعلــم أنـــي

لا أجيد السباحة في الماء ولا في السماء، فأزلتَ بيديك الجناحين فارتطمتُ بالأرض وكنتَ سابحًا ماهرا.

كنت جالسًا بجانبي فوق الصخرة التي تشبهك، وقد تمنيتُ أن أراك قطعًا متناثرة.

لأحقق سهوي، قررت العودة؛ لأنك أغظتني إذ لم تعتذر عن فعلتك، فأقسمتُ أن أجيد مكري، سهوتُ فكنّا في السيرك كل مرة أغير وظيفتك، وبيدي عصا ترويضك.

كنتَ مرةً تلبس زي قرد بليد، لكنك لم تتقن الدور كما خمنت لك، فأفرحتني حبة طماطم صفعتك في جبهتك من الجمهور الذي قرر مغادرة القاعة، فأعدناه بلطف، وغيرتُ دورك بعدما أقنعتُ مدير السيرك أنك تتقن كل الأدوار إلا دور الأسد لأنه ليس في صالحي .

أتقنتَ كل الأدوار بعدها، أؤكد لك لأن حبة الطماطم كانت درسًا مفيدًا لك ، كنت مرة تقفز على الحبال و أخرى فيلاً يلعب بالكرة، و أخرى فرسًا أمتطيه وحققنا ثنائيًا رائعًا، وكنت أفعى تتراقص كالحبل في خفة .

أعود إليك لأجدك كما العادة صنماً ممللاً ، رأيتك أخيرًا تنوي الكلام، هيَّأت نفسي، اعتذرتُ لدقيقة والفرحة تغلبني، خلف الشجرة دون أن تراني أعدت تعديل فستاني، و أخذت مرآة لأتأكد أني جميلة وأنيقة!.

عدت أسألك، أذكرك أنك كنت تريد قول شيء فكانت الصدمة إذ قلتَ نسيت !.

ثم عدتَ وقد تذكرتَ، فسألت عن الساعة، أجبت أنها مذ عرفتُك لا تتحرك، شلت عقاربها مذ حولت القطب الشمالي إلى أرض التواعد.

أدركت أخيرًا مقولتي وصدمتي فيك، لكنني سهوت لأنتقم، وما سمعت اعتذارك.

*****

إشراقــة

« لو رأيتَ القصور التي أفنيتَ حياتك في إقامتها
تتهاوى وتتهدم واستطعت أن تعيد بناءها من جديد،
فالأرض وكل ما عليها لك.»
كلينج

وحيدةً تجلس في الشرفة في لحظات تأمل ترقب جسد المدينة التى تغمر البحر بحضنها كالأم الرؤوم، والبحر هادىء مطمئن يعكس عيون المدينة ويتهامسان، حميمية بين البحر والمدينة، منذ قرون يلتحمان، قد يغضب البحر أو تغضب المدينة لكنهما أبدًا متحدان.

تتأمل وقد أسرَّت بحبها للبحر والمدينة، كم تعشق ذاك الوقت بالذات من ساعات اليوم كله، إذ يهجم النهار بأنواره على الليل ليوقظه من رقدته كالفارس المغوار ببياضه وجرأته غير راض لينتقم،

يهجم على غفلة وكل أسرى الليل تحت جنحه ضحايا، الليل ظالم يقتل كل جميل، فيعم السواد والجمود، والجميع مستعبَد، حتى الألوان الجميلة تموت وتختبئ، وتبكم الطيور الجميلة إذ تنعم الخفافيش أصدقاء السواد بالسيادة، كل الخلائق يقتلها الظلام.

يأتي النهار بعنفوانه ينساب ليشمل كما الحق كل شيء، وما صلاة الفجر إلا أعظم دليل على شكر الله في ذاك الوقت على النصر، وكما البشرية تسجد، فالعصافير تجسده كعرس بترنيمات متنوعة، والزهور إذ تنغلق من وقع السواد غير راضية، ما إن تظهر الشمس حتى تنفتح بكبرياء وتبختر بعدما عبست الليلَ بأسره.

ولجت بتأملها عوالم شتى وأدركت وقع النور على كل من في الطبيعة، أحست ببرودة تسري

في عروقها يطمئن على إثرها قلبها، على غير عادتها تسترجع كل ما مضى كأنه فصل منتقى من مسرحية بإتقان، أهم اللقطات منه والمواقف، دقائق الحسم في مصائر تتحكم في مصير، عبثية طاغية على أغلب الفصول.

تنصفها الأيام أخيرًا وقد تحسست مرفأ الوصول، للمرة الأولى تدرك أن عمر الورود عمرها، تنفست الصعداء وأزالت اليد التي أصابها التنمل وكأنها وتد ينغرز ليثبت وضع الرأس المثقل وهو محور الجسد كله.انزاح الكابوس المرعب.

أخيرا ستحقق أحلامها التي شكلتها بروية من عصارات انزياحها عن الواقع المزوّر دومًا.

تساءلت عن الجسور التي تهدمت وأبدلت حيطانا من الأسلاك المشتاكةِ المكهربة، وإن كان

من الممكن البدء من نقطة النهاية، وهل يبدأ النبض وتسري الحياة في عروق شبه ميتة.

إن بناءً من الصفر لأيسرُ من بناءٍ على الأنقاض، كم يلزم من الوقت لهدم ما تبقى من الأطلال للشروع في البناء؟، عليها الصبر لانتشال الضحايا والأعضاء المبتورة ودفن الجثث المتعفنة تحت لسعات أسراب من الحشرات الضارة.

لا يهم.. لن تسمح باغتصاب عمر جديد، ستبدأ الآن وقد أحست بالنور يعم أرجاءها. أخذت ورقة، سطرت سطورًا متوازية أفقيًا وعموديًا، و سجلت تاريخ أول يوم ثم أعدت جدولا لعمرها الجديد مع إشراقة صبح جديد وعام جديد ونظرة جديدة.

*****

انتظـــار

أرتعد لانزياحاتك المجوسية فوق جداريات
ركحي الطلل، أنزوي وكلّي أمل، أخبئ بسمتي بوجل
في فضاءٍ من قريتي مَقْصِيِ.
أتعلم شفرات الرعاة وألتقط صداها بين
الجبال...
يغمرني الصدى، يلف كاهلي العطب...
أترنم حينما تخترقني آهاتُك كالخناجر...
ألملم جراحاتي في عجل ثم أدوسك وأحشوك
في أنَاي البعيدة.
أنصهر داخلكَ ولا أراني، أجعلك شاطئي
و مرفئي، جحيمي وجنة خلدي.
أجعلك محرابًا آوي إليه كلما كثرت زلاتي ومنه
لا أحلم بالرجوع.

أرى عينيك تجعلني شفافةً، تخترقني بلهفة، تصنع مني دُمًى بأشكال غريبة.

تمل اللعب ثم تجعلني فراشات تنثر في الآفاق بعيدًا، ترسمني وردة حمراء فأذبل لئلا أكون بين أنامل سعيدة.

تصنع مني قنابل لتغزوني بلا تأهب، أناديك بكل ما أوتيت من عذوبة :

لا تُعَلّمني التحدي في وجه رعودك ولا الهروب من زخَّاتك ...

حتمًا، ولا الوقوف طويلاً في قاعات انتظارك ...

واحات الكلمات

أخـــترق ثقـــوب اجتراحـــات روحك، أعلن فتوحاتي عندما أرى دمعاتك، توسلاتك، أطمئنك: صغيرتي ثقي بي لن أؤذيك .

تزرعين في نفسي نخيلا ورمانا ووردًا أحمر، أعايشك آمالك، أزيدك رملاً ومـــاءً لتطول قصور أحلامك، أشاركك، نبني معًا بعدما تملَّكتني رياضًا في واحات ليست لنا ولستِ لي.

وحين يثمر النخل ويزهر الرمان ألمح الشجيرات بعيدًا عني يؤتين أكلهن. صغيرتـــي، ها أنت قد كبرتِ وما عادت تغريك الكلمات، وما في يدي غير ما ردَدْتـــه عليَّ من كلمات قد صرن كتبًا وأرهقتني، وخدعتني طويلا هاته الكلمات.

صغيرتي صفر اليدين آتيك كل مرة كأن العمر ما فات، كأن الزمن لا يمضي إلى سواه، لأجدك في مملكتك تتقنين الحديث بغير لغتي، ولم تفهمي مقولاتي، وقد رجوت أن تخترقي ثقوب اجتراحات روحي وأن تعلني فتوحاتك إذ ترين دمعاتي و توسلاتي.

لكنك آذيتني صغيرتي وأمرتِ حراسك برميي خارج أسوار قصرك، وبجلْدي أسوأ جلدة، وانتزعت النخيل والرمان والورد الأحمر من نفسي، وأبقيت الشوك بين ثنايا الروح للذكرى، وبعض ما ترسَّب من كلمات وقد أرهقتني طويلا هذه الكلمات.

بعدما جف بكِ نبعي، وما عادت تغريك يا سيدتي أنهار تكلست فيها أعذب الكلمات.

*****

لم يقل وداعا

" لو خيَّروني بين الألم والعدم لاخترتُ الألم."
وليم فولكنر

مشهدٌ رائع لن تنساه ما دام في جسمها عِرق ينبض، يحمل بين طياته الفعـل والنقيض، إنـه المشهد الوحيد الذي انبنت عليه سائر المشاهد، لوحة متحركة لأعظم رسام، سيمفونية عظيمة تمتزج بها الألحان لموسيقار عبقري، إنه آخر فصل فوق رُكْحٍ منسيٍّ، وبطلاه منسيان، آخر لقاء دون رغبة في الوداع.

على حرف الوادي جلس يرمي في الماء حصى أفكاره، وينظر في صورته المعكوسة كأنه يستمد من نظيره قوته، غائب عن الزمان، وإن كان للمكان سطوته آنذاك، قرأت أفكاره لأنها في غفلة منه ربما

كالشيطان تسربت إلى جُوَّاه، أو ربما كالنسمة عبرته استنشقها واستعذب احتواءها فسكنته.

علمتْ وهي فوق عرشها أنه كان في حيرة من أمره، كذلك كانت هي الأخرى بجسد لم يقدر على حملها بعيداً عنه، تنظر إليه غائباً ينتظر تقدمها إليه، لم يكن يحمل أوراقًا كما اتفقا، هذا بند لم يحترم من قِبله، أما هي فلم تتقدم لتوقع بأناملها الرمليتين على اللاانتماء، لتقطع الحبل السُّرِّي الذي ربطهما زمناً، حتى استعصى قطعه؛ إذ اشتبكت أليافه، و اختلطت عروقه بسائر عروق الجسد.

تقف على الضفة الأخرى محنَّطة، خجولة، مغبونة، كمومياء من تحت الثرى أُخرجت لتوِّها.

كما كانت البداية جاءت النهاية، عبثية طبعت فصول ما بين الدفتين، لم تذهب إليه، فآثرت

التسرب على مرأى منه دون نهاية معلنة، ولا موقّعة.

تسللت والعبارات ترهقها. لتبقى النهاية مفتوحة، والزمن كفيل بغلقها ولو بعد حين، أو ربما يبقى ورماً يتعايش معه الجسد.

- من يدري... !.

أسرعت بخطاها يكتسحها الظلام، كأن الفضاء الذي احتواهما مكانا وزماناً غير راض، فاختتم المشهد بالسواد ليجسد بصدق هول الوداع.

تمنت أن لا يناديها حتى لا تعاد المتاهة من جديد، لا تريد أن تسمع منه كلمة ستكلفها عمرًا ترى أنه رضيع، فليكبر أولا ليغتال باسم من سجل الجرائم، تحث الخطى حتى واراها الظلام بصدق.

- ولم يقل وداعا ! .

بل صار كل واحد شبحاً يخبئه الظلام، ربما أعادته الرؤى فصار العمر ليلاً أحرى أن ينام والأجدر به أن لا ينام ...

من يدري !!!.

*****

إقصاء

"إن حبّاً أمكن يوماً أن ينتهي، لم يكن
في يوم من الأيام حبًّا حقيقياً."
أرسطو

داسَ كلَّ اللحظاتِ الجميلة بتكبر، وتناسى كل ما فَاتَ بغرور، عاش في منفاه سيدًا يجحد النعم، كان يدري أنَّ الفصولَ تُدَاعِبُه برفقٍ، وتخدعه؛ لأنها وإنْ تكررت مثيلاتُها لا تعيش سوى دورةِ حياةٍ واحدة، وأن الأمس واليوم والغد ثلاثي يستحيل التقاؤه، أحَدُهم يدفعك للآخر ولا يتكررون.

كان يدري كل هذا، لكنه كان سيدًا أبدًا، والأيام والفصول عنده متشابهة، والحياة عذراء تخفي

بأصباغها كل العيوب وتبسم في وجهه لتزيده _مثلها_ تفاهة.

لكنه وقد أحس اللاانتماء رغم السيادة، أيقن غبنه وحماقته، يمتعض، يصرخ راثيًا عمرًا مضى، يلعن منفاه ليعود إلى الأرض الأم، ينعكس المرفأ وقد نسي شكله في عينيه، يجمع الحقائب و يحرق الدفاتر.

على المرفأ رسَى المركب، لا أحد في انتظاره، كما نسي الكلٍّ نسوه.

أدرك ذنبه، ذاب العمر بين الهنيهات الفارغة، فقبض بأنامله على الفجر الجديد؛ كي لا يتسرب أيضا، أنَّى له أن يصحح، كيف يبدأ؟ ومن أين؟ عاد إلى الأرض البكر، كانت كما تركها، باليمنى قصيدة، وباليسرى كتاب فلسفة.

ينبِس بشيء غير مفهوم، خمَّنت أنها التحية، فردَّت بمثلها وبما يمليه الواجب، يُعَرِفُها باسمه من جديد، ودون أن تلتفت تعتذرعن جهلها بهذا الاسم الذي لم يعش على هذه الأرض أبداً. تراه متطفلاً لا وجود له في الذاكرة.

يدرك مكرها ويُنعم النظر، تركها برعمًا يتمايل أمام أبسط النسمات ، وتكسره أتفه اللمسات، فألفاها شجرة اكتملت زهراتها، وطال شوكها ليقصي كل المتطفلين.

*****

شاذة في زمن بليد

أتأمل في عينيها الرماديتين الباهتتين، لِمَ هذا اللون المتناسق مع نفسيتها التي تتراءى لي متعبة! أحاول عبثًا الغوصَ إلى الماوراء، دون جدوى.

تحاول دومًا صدِّي، تجعل الصمت سلاحها، وتذبل وحيدةً، لا تشتكي ولا تتكلم، أراها دومًا منذ سنوات، لا شيء من عاداتها يتغير، صمتها، جمالها، عملها، تفانيها.

تفرض عليك إن التقت عيناك بعينيها بوجل أن تغمض جفنيك في الحال، قوة شخصيتها كما السهم النافذ من نظرتها ينطلق، كل من عرفها لا ينساها.

كلمتها يومًا فأدركت أنها كما الرماد يخبئ جمرًا ويكتوي في صمت، فأصابني جمرها لكنني كظمت ألمي، تساءلت كم سنةً ترقد على هذا الجمر وتصبر، فتعلمت منها قليلاً من الصبر.

كانت تتكلم، تحكي لي إذ أحبتني لوعتها، والبسمة تدثر خلف صحاريها أفاعي الزمن وظلمته، فَعلَّمتني الابتسام، وكنتُ أردُّ عليها أنا أيضًا ببسمةٍ لأهون عليها.

وقد تقمصت بعد لحظات شخصيتها؛ أنهكني إحساسُها. كانت الغربة عن الوطن أمَّ كل البدايات البئيسةِ في حياتها، حيث فقد الأهل وفقد الهوية، خمس وعشرون سنة، ربع قرن بقيت متأرجحة في حبل الإعدام منسية، حكموا عليها ونسوا تطبيق الحكم كله فظلَّت تموت موتًا بطيئًا وهو الأشدُّ إيلامًا.

أرى الكل يناديها بحب: "ماما"، وما أراها سوى كلمة لا تتجاوز الحناجر، وهي كالغريق المتشبث بأبسط أسباب النجاة، قالت: إن الكلمة تضمد جراح الأمومة التي لم تنلها.

قالت_ وقد أحبتني بصدق_ إن التعيس تعيس منذ خروجه إلى هذه الدنيا الدنيئة، وهي أصدق مثال،

ولن تنفع فلسفتي العقيمة، لن أبرر شيئًا رغم أني كنت أهدر كما السيل الجارف لأؤكد عكس مقولتها، لكنني كنت أخونها ببيّنة، وليس مَن يده في الماء كمن يده في النار، مِن خارج بؤرة النار كنت أتكلم، وهي في نواتها.

قد تضحك في قرارتها لسذاجتي وسطحية كلامي، كلٌ منا كانت تفهم الأخرى، ولكننا أو في الأقل أنا كنت أمامها ممثلة أبسّط ما أصابها رغم هوله، فليتها صفعتني آنذاك لأدرك ما بها بحق: فقدُ الأهل، وفقد الهوية والوطن، وذهاب بلا عودة وبلا أبناء، وزوج كما الصقر الجارح لا يهمه سوى إرضاء غروره، والأكل من نفس الفريسة بنهم، خمس وعشرون سنة بلا شبع بلا رحمة !. وددت لو كنت قدراً لأخنقه بتلذذ، كنت أفسر تصرفاتها بالسلبية لكنها مغلوبة مغلولة.

إذ سألتها ما تنوي، تضحك ولا تجيب، فأشارت بحركة بسيطة، فهمت أنها تنوى إتمام المسيرة.

أمــل

تصفح عن الكل في ليل غربتها الهادئ المرير، تتجافى عن السرير، تغيب عنها رسائلك القصيرة، تخلو الغرفة من أنيس يملأ الدنيا دفئًا وطمأنينة، ويغنيها عن صخب الحياة، تصهل في أركانها جياد الألم، يهجرها دفء الكلمات لترتحل إلى صقيع دمعات من حريق أضرمته يدك الحانية دومًا.

تُسلب الإرادة، تدنو من حتفها بلا إرادة، تلتمس بداية ألم عنيد، ذي حلقات لا تنتهي ، مادام الألم حقيقة عظمى في زمن غني بالرداءة.

وقد تساقط من حقيبتها الحلم الكبير، وتكسرت قصائدها القديمة، تمضي لتخيط الطرقات القصية في مدينة العجائب بلا أنيس لتنقب عن الدمى المتمسرحة في رؤياها.

وقد اغتيلت الحمائم التي تضللها من انعكاس المرايا ومن زخات المطر، تمضي إلى الغد المنساب من بعيد، يفيض من بين أنامل ندية كالبحر تراه كالنهر كالجدول. لتعشق الحرف ألقًا والكلمة وطنًا والقصيدة مرفأ، فليس للوطن سوى مرفإ واحد كلما انسدت في الوجه كل المرافئ الكاذبة.

رسالة امتنان

"إن احتمال عدم وصول الرسالة لا يعني أنها لا تستحق الإرسال ".

سيجاكي

على شاطئ البحر جلست وحيدة تتأمل جمال الكون وروعة الفضاء الذي احتواها آنذاك، أخذت تخط بأنملها فوق الرمال فكتبت رسالة بلا عنوان:

إلى وطني الذي نفاني وقد جُبِلْتُ حتى على غير أرضه أن أكون إليه منتمية.

عِمْتَ صباحًا يا واديًا أَتْقَنت في قاعه إقامة تذكار لأروع حدث، أيها الصنم سنواتٍ بَقِيْتُ أرمم جثتك فما عبدتك، ولا هدمتك، وقد أقصيتني كما أقصيتك؛ فالأحرى بي أن أدمرك وإن كان فاسي

مفلولا، أو أغرقك في أبسط دمعة لأفتتك، وقد ساكنتك العناكبُ والجرذانُ، وهجرتك الحمائم بعدي.

يا طللاً سميته وطني....

أنت من ساق الجنون إلى دربي وأهداني العبقرية على غفلةٍ مني، و لونت إشراقةَ صبحي عوسجًا وزمهريرًا، لا بل أنت من تجاسر على زخات طفوحات كأسٍ سقاك عسلاً وجمرًا لذةً للشاربين، فتقبَّل امتناني، و انتظر ردَّ الهدية.

بأناملك الصدئة علَّمتني خَنْقَ الابتسام، واختراق مسامِّ الكلمات، و على أديم رفاتي كنتَ تقيم أعياد سجداتك، تدّعي السجود وتشم التراب باحثا عن أثمن المعادن، ثم علَّمْتني حُبَّ الجريمة المبررة، واجترارَ الفصول، و إعادة بنود سفرك كتوالي السنون.

أيُّ طوفان ساقني إليك والوهم يتراءى من ناظريك، فكان المجداف خدعةً، وذبلت وريقات أزهاري على أرخبيل يَمِّكَ، وتبنيتني إذ رأيتني ابنةً كسر الرضوخُ قامتها، وسقيتني ثانية و ثالثة فاجتررتُ بنودك و هتفتُ في كل حدبٍ وصوب باسمك، وعشت كل الدقائق المسروقة من ساعة بمعصمك، أرمم كوبكِ، وأعود به إلى الماضي بكل الشوق والحنين.

يكتسحني الظلام وفي ظلي أتعثر، أفيق على نغمات إصباح جديد، أناديك ثانية و قد صدىء حلقي واهترأ صوتي ولم أعبأ.

ألأني عبثًا حققت نداء الروح يومًا رأيت بعضي غيرَ آبه ينشطر عني، و يعض من الغيظ أنيابه، يلغي سطوتي و باللهفة يجافيني، بالحرقة يتحدى سنيني، شاء ارتشاف كؤوس الجنون والغرق

في بحور العدم، تمنحه بطاقة الهوية وجواز السفر ليعود بدوني إليك مهزوما جريحا ؟.

لكن أناملك رخيمة، عبثًا أسخر مني ؛ لأني حتمًا أَعْلَمُ حدودي ولا أريد كسر قيودي، فكسرت الكوب الذي أثملني و ألغى مني الكينونة.

بطول الأمل ضاق الخِناقُ فشئتُ تّمَلُّكَ شراعٍ يصدُّ الريح ويشلُّ الرعد ويقتل زخَّات الدماء، فأهديتني شمعةً وعتمةً و وردةً وسكينًا، قلمًا وممحاة. كلما دَوَّنْتُ كلمةً أجدها بلا ظلٍّ، فتوالت الأيام ولم أكتب كلمة.

ولأن أناملك رخيمة تسوستْ أوتار عودي وكان لحني سقيمًا، وتوالت السنون العجاف على امتداد سلطانك.

يا وهمًا سميتُه وطني...

لن أُنَكِّسَ رأسي كما الخاسر في المعركة، ولن أتراجع، أَمن ألف التنازل بإرادة يفعل بغير إرادة لأنه أصبح عادة والضرورة تقتل العدل وتلغي الإرادة.

سئمتُ..! تعبتُ من مهب الريح، وشِئتُ استراحة، انطلاقة، بل انتفاضة، فصرت على الشط جثة بلا اسم ولا هوية، ليس لي سوى الدمعة المالحة والليلة الكالحة.

إلى متى أرْمى كاللقيط الذي ليس له ذنب سوى الدخول إلى العالم من باب المنبوذين، هكذا أراني ببساطة أزاحم الركب، وأشل السير لأنبئ بوجودي، ومن هَمَّهُ وقد أنِفت أذناه سماع خطبة مني، وتعالى قاموسه، إذ صارت موضة الكلمات غيرَما تحفل به عباراتي ، بتغير الزمن تغير الطلب وما تغير العرض ببراءة .

أبَعْدَ الفصول كلها أجدني بدمعةِ عينٍ وجرحٍ غائر، أحفظ عن ظهر قلب شفرات حِمْيَةٍ فرضتها في وطني زمنًا فألغَيْتني؛ أردد عبارات الأمس وأغري بمدينتي الفاضلة التي أعيش في أرجائها وحيدة.

آن للعدل أن يتكلم، فدمي المهدور كل مرة أمانة بين رفاتكم، فاحكموا بالقسطاس المستقيم، أو أعيدوا الكرة وانفوني بغير حق، فالتنازل عندي عادة والظلم عندكم عبادة، ودمي قربان لواضعي بنود مملكتكم، ووصمة عار في كتابكم المدنّس.

ليس لي بعد الرسالة سوى صك الابتسامة، لأنّ قضيتي صارت مغناطيسًا للغبار في دولاب الأرشيف في محكمتكم؛ والزمن بارع يرتكب الجرائم ويتلاشى كالسراب، والقانون قابع

في قلاعه العاجية ولا يحمي المغفلين، فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون.

لم تُكملِ الكتابةَ إذ تمدد البحر فمحا موجه كل ما خَطَّتْ في لحظة.

أحست براحةٍ، كأن البحر العظيم حمل عنها العبءَ وهو جدير بحفظ السر، ثم عادت إلى البيت وقد تعلمت من البحر كيف تمحو ما فات في دقيقة، وأن لا تعبأ بما فات، ولتنظر إلى الأمام، فالغد يوم جديد.

*****

محراب الروح

محراب الروح عالمٌ فريد عذب فرات مشاربه.

مِنْ خلف الستار تنساب موسيقى هادئة، تلون الفضاء بألوان ربيعية مشرقة، وقد صرنا أشباحا منبهرة والظلام يعم الصالة الواسعة الأركان.

تتوجه الأنوار إلى الخشبة التي نجهل عناصرها، يبدأ العزف ثم تنــزاح الستارة لتكشف عن جوق عريض يملأ المكان هيبـــةً ووقارا.

تنساب النغمات بين أوردتي كما السُّكّر في كوب ماء يمتزجان بهدوء، كأن للنغمة صداها المعكوس في دواخلي. عجيب عالم الفن الذي يتملكنا بجمالياته فَيُمَلِّكُنا العالم في لحظات بسيطة.

كانت المعزوفة التي هزت كياني من الفصول الأربعة لــ"ڤيفالدي" هي مقطوعة الربيع،

حيث عزفت الفرقةُ بسخاء منقطع النظير، والقائد في محرابه خاشع حريص على أداء الواجب باتْقَان، وهو لا يرى أمامه سوى فريق العمل الذائب في الطاعة حتى النخاع.

تتوالى المعزوفات "كسَّارة البندق، بحيرة البجع..." وتمضي الساعات مثل ثوان معدودة.

ينتهي العزف وتعقبه تصفيقات حارة، تقابله الفرقة بسخاء، إذ قررت أن تمتعنا بهدية أخيرة، فكانت مقطوعة " الدانوب الأزرق " مِسْك الختام.

تنتهي السهرة دون أن تختفي المعزوفات من جواي، أنطوي على ذاتي السعيدة، أَسْتَأْذِنُ أصدقائي هاربةً من الجميع؛ لأسيرَ وحدي هائمةً في شوارع المدينة، داخلة محراب روحي لأعيد عزف المقطوعات من جديد.

*****

تَبَاعًا تَذْبُلُ الورداتُ

كما تمضي الأيام نمضي، تسير بنا الأقدار إلى ضعفنا، إلى ألمنا، إلى حتفنا. نمضي بسلام باستسلام والرضا بالغّ مبلغه.

تتناثر الوردات في الحدائق، وتذبل تباعًا، فما أقصرَ عمرَ كل جميل ! .

يسقط الناس من الذاكرة بلا حدود، لا قدرة على لمّ شتات الذاكرة، فلا يدوم مع العمر سوى الودّ الأصيل.

هكذا تُعَلِّمنا الحياة بصخبها بتيارها الجارف أن نُغَيِّرَ محطاتنا بين الحين والآخر لنصادف الأفضل والأجدر بالبقاء.

موضـــة

أرتدي أربعة جدران وسقف، وقفل فستاني بيدي مُحْكَم الاغلاق، لن اجتاز بعد اليوم أدراج مملكتي وقـــد صرت فيها أميرة، ولن ألج بوابات الذئاب التي تجــترّ عشق الأحمر في الــدم والشفاه، وفي الأنهار والوديان وحيثما وُجد.

جرثومة القرن هذه الذئاب التي تأنسنت باسم الديمقراطية والحرية، أظافرها توشك أن تنغرز في كل الرقاب.

وشى بي واشٍ فصرت بجدراني أرحّل بالطائرات والبواخر، نصّبوني في المركز الأول، واعتبروا جدراني أرقى ما وصلت إليه الموضة العالمية في مجال الأزياء، فصار الكل يرتدي أربعة جدران وسقف.

لم تجد الذئاب دمًا فنهشت أجسادها، وعلا في المدن الذُّباب، ونَتَنَتْ رائحة الجو إذ لم تجد الذِّئابُ من يَدْفنها، وقد صار الكل أمراء داخل الجدران .

لحظة إنبعاث

" لو استطعت أن تؤمن بنفسك في الوقت
الذي يحيطك فيه كل الناس بالشكوك
فالأرض و كل ما عليها لك. "
كيلنج

كان يومًا قاسيًا أحسستُ فيه بعبثيةٍ طبعتْ كياني، أحسست بعقاب على ذنبٍ ما خلتني ارتَكَبْتُه، فكان لزامًا أن أتجلد لئلا أنكسر.

اليوم نفسه حمل إليَّ الفعل والنقيض، فكانت البداية غير النهاية، صرخت ولم أعبأ قائلة: هاتِ ما عندكِ من مكاييل بالرطل بالمُدِّ بالصاع كيليني، هاتِ ثم أعيدي إن شئت فانصفيني، هات ما شئت

لا تمهليني، ذبّحي كسّري عُودِي شرّدي براعم ثماري، بالفأس، بالسيف، بالقنابل شقّيني إلا أن تقتلعيني، الرحمة لا، الرأفة لا. منكِ ما شئتِ زيديني، ما عاد العاذل فيَّ ينبيني، ما عاد الجرح المتأصل فيّ يقصيني.

بعد يوم بعد عامٍ بعد ألف عام تغابيتِ، ثم جئتيني.

أصُلْحًا تطلبين يا دنيا ؟، أعدلًا ترغبين ؟ يكفي ما رأيت منكِ، فأقصيني أو وطِّنيني باللهفة، بالحرقة ارتويت حتى صدىء الدمع فوق الوجنتين.

من عتماتكِ سَرَقْتُ حبرًا فلوَّنتُ عيوني، وطال الليل وفرحتُ بعيوني، فلما الفجرُ أتى، أخذ الظلام عينيَّ ورحل، وأجّلتْ انتماءها إليَّ عيوني، وصدىء الدمع ثانيةً لكن بلا عيوني.

تَلَوْتُ أذكارَ الاستغفار، وأحضرتُ أعوادَ ثقاب لأُفُكّ أسر الأبجدية.

إذ تجمَّد الحرف على حرف شفتي، وتصقع اللسان عدت للطلاسم للرقى للاستغفار إنه العصيان في مملكتي، فتفجّر البركان، والساحل تمدد، وكان الجرح العقيم والذنب العظيم، لقد اغتيلت كل الكلمات وتوالى النزيف !.

إذ انزاح الحجاب عني رأيت عجب العجاب، عادت العيون بلون الصباح، وما أدراك ما لون الصباح، انشراح وارتياح، ثم انبعاث من بين أنامل أتقنت فوق الرمال زرع الياسمين ونزع الحنظل المتسرب على غفلة بين الضلوع.

*****

الباحث عن الفرح

بحث طويلاً عن ذاته، وجرَّب غير ما مرة الارتحال بعيدًا، لم يكن ليكشف لأحد عن حالات التوهان التي تنتابه، تغشاه آلام حادة كلما شاء التفكير في حياته بعمق، وحيدًا يهيم على وجهه مع كثرة المحيطين به، شاء البعد عن الفضاءات التي كانت تجمعهما معاً، لكنه كلما حاول عاد إليها بشوق باحثًا عن النبع الذي كان ولا يزال يشفي ظمأه، فليس له بعدها سوى الأماكن وما أقساها من أماكن.

قال لها دومًا أنها الفرحة الكبرى التي تربكه، فعاد حين ضاعت ليقتصَّ من ذاته بعلاّته مخاطبًا كل الأماكن.

زار المكان مائة مرة؛ ألف مرة..، لم يعد يذكر كم مرة لأنها أضحت تملك عليه كل الأماكن وتدثر عليه كل الأفراح لِتُمَنِّيهُ بذكراها، فكان يحَدِّثُ نفسه بعد ما أكلت من العمر السنون الجميلة بلقاءٍ فرحته الكبرى مصادفةً أو هبةً قدرية هناك.

ذات مرة تَبَيَّنَ جسدًا أنثويًّا يُدَثِّرُه السَّوَاد، وفي الجبينِ مرايا حياة جديدة، جرَّه الفضول بلا إحساس لمعرفة من يشاركه أطلاله، انتزع نظاراته، كانت هي...

أبدى لها سعادته، وانتظر منها ردة الفعل التي ستثلج هذا الركام المحترق من بقايا رجل.

غير أن للزمن سلطانه، وللحياة أولوياتها، اتسعت الهوة بعد الذي كان، هناك انتهى وهمه وَوَلَّى راجعا منفصلا عن الثانية التي مضت للتو

ليقلب الصفحة، و ليسلِّم للمستقبل ذاته لتأخذه الحياة حيث تشاء.

مَعلَّمة

كلما سلكت الطريق ذاته تراءى لي جسدها الضئيل يحاول اختراق الدفة الحديدية الصدئة بجزء منه لينعم بدفء الخارج، كل صباح تنعكس أشعة الشمس بسخاء لتمسح أرجاء الغرفة من العوالق رأفة بحالها لتستغني بها عن الطبيب، إنها التفاتة السماء حيث يغيب العبث.

صار مشهد المرأة مألوفًا لدى سكان القرية، بل غدت وشمًا يُجَمّل ذاك الفضاء العام المليء بالحركة وأنيسًا لعابري السَّبيل؛ كأنها تؤمنهم وحشة المكان، إذ يكفي الإحساس بوجودها للشعور بالأمان، فغدت جزءًا لا يتجزأ من المكان، ولا يمكن تجاهله بعدما أمطرتها السماء دون بوادر تنبئ بذلك فكثرت بشأنها المرويات، كل واحد يحكي

من منطلقاته الخاصة بيقين، فصرت بدوري أكثر فضولا أسترق النظر إلى ما لم يتراء بعدُ من الغرفة علّي أدلي بدلوي في زخم المرويات، أجتهد في ذلك ربما انطلاقًا من جزئية بسيطة، أؤلف قصة أكون فيها السند والمرجع.

غدت المرأة الغامضة محطّ اهتمام كل طبقات القرية، فالنساء جربن التقرب إليها وتودَّدْن إليها بسذاجة الطمع في صداقة المجهول، فمنهن من حملت إليها ملابس جديدة باعتبارها هدية للزُلفى، ومن حملت إليها طعامًا؛ على اعتبار أن الأكل من نفس الطعام في العرف يوازي العهد ومن أكل طعام الآخر كمن يشترك في نفس الدماء، واختلفت الهدايا لكن الغرض واحد انكشف مع الزمن وتواكب الزيارات كلهن يعتبرنها مجذوبة أو عرَّافة، أسررن لها بأسرارهن، منهن من شكت

قسوة الزوج، وأخرى نُفُورَه وأخرى حملها حب السيطرة عن البحث على الوسيلة، كلهن طلبن أن تسعفهن بطلاسم تذل السبع تحت القدم، وتجعل اللبُؤَةَ بؤرة الكون؛ لكنها نهرتهن باسم الفضيلة و الأخلاق النبيلة، صخبت ورمت الهدايا في وجوههن، وتوعدتهن بشرٍّ الختام لأنهن أفاعٍ يتقنعن بقناع الحمل الوديع، وكادت الدَّفَّة تقتلع من مكانها إذ سمع لها دوي، ورجعن خائبات فصارت العدو المشترك لهن إذ خفن أن تشي بهنَّ للرجال.

ومن الرجال من استخفوا بحيطانها الأربعة القصيرة، واستسهلوا القفز من السطح، فأطالوا الحيطان وأسرُّوا وأعلنوا حمايتها، وخلف السر والإعلان، وفي ظل الكلمات هدموا ما بنوا، فقصرت الحيطان وندَت اليدان، وحين أبت،

صارت وصمة عار يَخزِ المكان، فغدت عدوة الجميع، و لم يبق لها درع سوى جسدها الضئيل، وبضع كلمات.

وذات صباح هبّت القرية إذ تكاثف الدخان عاليا من مسكن الغريبة، الكل كان يستنكر، ولم نستطع السيطرة على الوضع رغم الجهود التي بذلناها جميعا في صب الماء على النار، وبعد ساعات هدأ كل شيء ولم يبق سوى رماد تساوت فيه الأشياء، دون أن نجد أي أثر لجسد المرأة.

تساءلنا: هل صارت بدورها رمادًا أم رحلت بعيدًا قبل الحريق؟. لا أحد يملك الإجابة،

هكذا تركتنا و رحلت تحمل سر القرية وسرها، علّها تنعم في إحدى الدارين بالأمن بسلام.

*****

تعقل فوق العادة

جلستْ فوق الكنبة تتأمل جسده المسجَّى فوق السرير منتشيًا برؤاه أو مثقلاً بالكوابيس، يتقلب يمنة ويَسْرَةً، تُقصي الليالي الطوال دقائقه بعبث، مستسلما تراه والعمر يؤكل بنهم.

استرجعت مع تأملاتها محطاتٍ عمرية في دقائق، عَدَّت سنوات عمرها فكان أغلبه منثورا فوق هذا الركن البئيس، الذي تفانت بيديها في دفن شبابها فيه.

بعد التأمل صارت تحاول التقاط ما تساقط من أنوثتها وشبابها من جنباته، علّها تنقذ ما تبقى من العمر بعيدا عن هذا المحراب الموحَّد لكل الفصائل، المُتَعَبِّدُ فيه الكل بلا استثناء ولا اعتراض.

مازال الجسد المشلول خاشعا فوق السرير، تَعِسَ عبدُ السرير !.

هكذا قالت، وحمدت الأرق الذي انتشلها من براثن طاغية جرّف شبابها، ومشّط عمرها، ولم يمهلها لتحيا كل لحظة بحق، تناولت فتّاحة الرسائل الحادة فــبدأت الطعنَ بجنون باحثةً عن ذكرياتها القديمة، عن براءتها الجميلة، عن ضحكاتها و دمعاتها.. لا شيء !.

تطاير الريش في كل ركن من الغرفة، خانتها الوسادة، لم تخبىء شيئا ولم ترع الأمانة.

حَوَّلتِ الوجهةَ إلى السرير علّها تجد شيئا، فهو الشاهد بنتوءاته على عمرها ليلةً بليلة، كانت تلهث و تطعن بلا توقف.

أفاق صاحب الجسد المسجى مذعورًا بصراخها وشتائمها، حاول سؤالها وهو مرتعب، لم يدر

ما حلّ بها وهي الملاك الذي آمن أنه لم يُخْلق مثله في كل البلاد.

تستمر غير آبهةٍ لما يقول في طعنها للسرير الذي تَفَنَّنا معًا في اقتنائه ودفعا ثروةً لامتلاكه، تزدحم الكلمات المتطايرة من فيها، بها أدرك أنها تدعوه الى مساعدتها على التنقيب عن عمرهما، صار لها حليف، إذ تراه الشريك في حشو كل اللحظات السعيدة والتعيسة في الوسادة والسرير.

صرخ بشدة وأمرها بالتوقف وقد صارت الغرفة بالريش دخانا، كأن حدث هيروشيما تكرر.

زجرها و قال: يا مجنونة !.

كلمة ارتعدت لها فرائصها وأحيت مكامن العقل كله. توجهت بطعنها اليه قائلة:

- لا منقذ لك اليوم مني، كلكم شركاء.

حاول تهدئتها دون جدوى، توسل إليها وأقسم أن يطلقها إن لم تتوقف.

وحيث أنها لم تستجب قال:

- أنت طالق بالثلاث ! وقع السكين من يدها، زغردت بقوة والفرحة تغمرها، ركضت كما الحصان الجامح المحبوس طويلا.

أخيرا نالت حريتها.

غدت تُسَاكِنُ كل الشوارع والأزقة، و تدرك تعاقب الفصول، تلامسها الشمس كلما أشرقت وغربت، تعرف حركات النجوم في السماء، تنتظر القمر وتعلم مواعيده ، تصافح الرائح والغادي.

بل أصبحت مشهورة، أحست أن عمرها الحالي أفضل، وأنَّ المستقبل بثقله سيملأ فراغات السنوات الخوالي العجاف.

هكذا اعترفت أن الجنون ليس جريمة،
بل الجنون تعقل فوق العادة.

*****

الزمن الحزين

" الضربة التي لا تقتلني تحييني "
نيتشه

تحيا الكلمات في زمن الرداءة على ألسنة الشعراء، حيث لا مفر سوى على صهوة القلم من البقاع القاحلة إلى جنان الروح الوارفة الظلال.

وقد أتيتَني من بعيد ثملاً بجراحٍ نازفة، تموت على شفتيك الأبجدية، وتلتقط أنفاسَها الكلمات، أراك كما تراني طِبْقَ الأصل، جرعتك بعضا من ألمي وكذلك أنت فعلت.

أسكنتني لحاجةٍ في نفسك على أرصفة التحدي رغم الحرائق والبروق، فصرنا بلسمًا يطفئُ لهبَ الألم.

الآن وقد أتممنا معا تطريز رايات النصر ورفعنا الأعلام المُنَكّسة وحَرّمْنا السواد والحداد بعدما امتلكنا صولجان روضةٍ بسيطةٍ، صافحتنا الفراشاتُ

و تمددت السحبُ لتروي بقاعَنا العطشى، وتعلمنا معًا الابتسامَ في وجهِ الزنابقَ والياسمين؛ لأننّا أدركنا أنَّ الحزنَ ليس من صفاتِ البطولةِ، وأنَّ التأملَ في نعشِ التاريخ عبثٌ، واعترافٌ صريحٌ بالهزيمة.

ذبول النهاية

تأخذ المرآةَ، ينعكسُ وجهها المرهقُ فوق الزجاجِ، تتأمل في قسماتِها كأنَّها تتعرف على هذا الشبحِ من جديد، تحاولُ الاستعانةَ بيدها لتتأكدَ أنَّ اليدَ ستنعكس أيضًا، تلمس جبينها، أوشكَ الليلُ على الانتهاء، وهي في تمايلها الروتيني طيلةَ طريقها إلى بيتها، وما كانت لتعرفه إلا بجهد، أرهقها ماءُ الحياة الذي سلبها الحياةَ مذْ كانت وردةً تعشقها العين.

سرقها ذاك الركن المبهر، وها هي ذي الآنَ تذبلُ، تُوشِكُ على إتمامِ الخريفِ، ولا تعرف سبيلاً غيره لتتراجع، جَنَى عليها جمالُها، وأضلّتْها سراديبُ المدينة العميقة.

كل القصور كانت لها، كل الأكواخ كانت لها فصارت شبحًا غير مرغوب فيه في ذاك الفضاء، وقد

صار الزمن غير الزمن، وسُحِبَ البساطُ من تحتها ليُمنحَ لبراعمَ جديدة لتبدأ المسيرةَ.

لا تزال المرآة في يدها، ولا يزال وجهها غريبًا عنها، عيناها غائرتان، وحلت بهما كما اللعنة إذا ما حلَّتْ بالمكان فصار خرابًا، تلعن كل شيء، وتلعن حتى المرآة التي بدلت ذلك الوجهَ الصبوحَ الذي كانت تراه منذ عقود فتغتر به.

كسرت المرآة التي لا ذنب لها سوى أنها لا تواري العيوب فصارت قطعًا متناثرة، ينعكس ظِلُّها فوق الحائط، تسأل وهي باحثة خلفها عن الجسد المنعكسِ هناك، لا تجد أحدًا، تدرك أنَّه ظِلُّها فتحاوره وهي تصرخ إذ كان شبه مقوس، تُكَسِّــرُ المصباحَ لأنه كاذبٌ ضوءُه، يضيئُ بشكلٍ جانبيٍ فأفسدَ قامتَها.

تخرجُ متمايلةً وهي تنتحلُ شخصيةً مستوردةً من غيرِ ضفَّتها، وقد شَرِبَتْ أكوابَ بُنٍ أفاقت من ثمالتها تكاد تجن، لا تطيق الوحدة.

عقيمة تلك الإمارة التي أهداها إياها الزمن، والمدنية وهمٌ جميل، تعجب من عمرٍ جرى كالهارب من أمر مهول.

لم تنعم بعد بفردوسها المهمش، تخرج لتلقى رفقاء دربها لتسترجعَ أنوثتَها، وشبابها المسلوبين، إذ كذبت المرآة و المصباح.

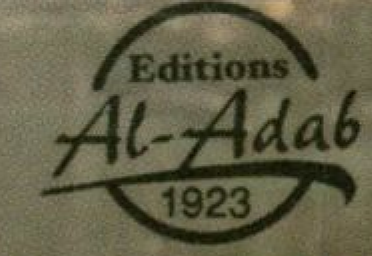
لكن الرفاق أنكروها، قبّلوا يدها وتبرّكوا بها وطلبوا منها الدعاء لهم، أدركت أنها عجوز، ولا مفر من آيات الدهر وصروفه، فلله ما أعطى ولله ما أخذ.

الفهرس

تجليات أنثى

نجاة أحمد بوتقبوت

أعطتني أمي وهي واجمة كتابًا
وسيفًا فلّه التوارث، قالت: هذا في يدكِ،
فكان الكتاب، وهذا خلف ظهركِ،
فكان السيف، ثم قالت وهي باسمة:
هكذا تكونين بحقٍّ أنثى.
جرّتني من يدي وخرجنا لتنعت
لي أرضي الجديدة، أشارت في
اتجاه، وقالت: هذه أرضك، فاحترس
واحذري جرأة الغاصبين.



42 Opera Square - Cairo Tel : (202) 23900868

مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨